**المحور الثاني : قضايا الفلسفة ( مباحثها ) .**

إذا كانت الفلسفة محاولة لإدراك العالم في صورته الكلية بوسيلة الفكر النظر ي، فإن مجالها أعم المجالات وأكثرها تجريدا، لكن مشاكل الفلسفة هي معاني الأفكار السياسية و حقيقتها ، و العلاقات المنطقية بين الأفكار في هذه المشكلات التي يستعص ي على العلوم التجريبية الوصول لحل لها ، لن كل علم يخصص جزء من الواقع موضوعا لبحثه ، أما الفلسفة كما ع رّفها أرسطو فإنها **" البحث في الوجود بما هو موجود"** ، إذ لا تتقيد بقسم واحد من الوجود كما تفعل العلوم ، و لذلك فإن تعريف أرسطو نستطيع أن نقول عليه أنه ما يزال صالحا إلى غاية الآن ، فهو يجعل من موضوع الفلسفة المبادئ القصو ى لهذا الوجود و غاياته البعيدة أيضا ، أي المبدأ الذي يبدأ منه هذا الوجود و الغاية التي ينتهي اليها ، و إذا كان هذا هو حال الفلسفة و لا زال إلى غاية الآن فإنه يمكن حصر المشكلات - القضايا - التي تعالجها فيما يلي :

**أ - قضايا المعرفة (الابستومولوجيا- Epistémologie) :** و فيها تطرح الفلسفة تساؤلات متعلقة بالمعرفة الإنسانية من حيث إمكانها ، مصادرها ، طبيعتها ، حدودها ، قيمتها ، وسائلها ، أنواعها...الخ

**ب- قضايا الوجود ( الأنطولوجيا- Ontologie) :** و يبحث الفكر الفلسفي في هذه القضايا تلك المشاكل المتعلقة بالوجود مثل : هل الوجود واحد أم متعدد ؟ كما تبحث الفلسفة هنا في ما يسمى بحقيقة الموجودات و أدلة الوجود و العدم و الحرية و مسائل ما بعد الطبيعة...الخ

**ج - قضايا القيم (الأكسيولوجيا -Axiologie) :** و هنا تتناول الفلسفة المشاكل المتعلقة بالقيم ، مثل البحث في صحيح الفكر و فاسده ) علم المنطق (، و السلوك و نتائجه من حيث الخير و الشر ) علم الخلاق ( ، و أخيرا تبحث الفلسفة في ذوق الانسان من حيث الجميل و القبيح ( علم الجمال ) .

# : Epistémologie - نظرية المعرفة –د

و تسمى نظرية المعرفة بالابستمولوجيا و لا يفرق الناطقون بالانجليزية بين المصطلحين، لكن الفرنسيون يعبّرون عن الابستمولوجيا بتلك المعرفة النقدية لمبادئ و فروض و نتائج المعرفة العلمية و مناهجها و قيمتها و حدودها . و نظرية المعرفة كما عرّفها **'روزنتالRozanthal '** هي : **"** قسم هام من النظرية الفلسفية و هي نظرية في مقدرة الانسان على معرفة الواقع و مصادر و أشكال و مناهج المعرفة و الحقيقة و وسائل بلوغها **"** . و هكذا يمكن القول أن نظرية المعرفة تتناول :

أ- البحث في العلاقة بين الفكر ) الذات- Sujet( و الوجود ) الموضوع - Objet( من حيث السبقية أو الأولوية .

1. - البحث في قدرة الإنسان على تحصيل المعرفة و الوصول إلى الحقيقة و مصادرها ، و الأدوات المستعملة في ذلك .
2. - تتناول نظرية المعرفة مشكلة الحقيقة و الحقيقة العلمية .

تلك هي إذن أهم النقاط التي تتعرض لها نظرية المعرفة في تناولها لمسلمة المعرفة و ما تعلق بها من إشكاليات . هذه الإشكاليات يمكن أن نلخصها في الأسئلة التالية :

4- هل المعرفة ممكنة ؟ / 1- ما مصدر المعرفة ؟ / 3 - ما طبيعة المعرفة ؟

و عليه و بناء على تلك الإشكاليات التي تمثل محور المناقشات الفلسفية حول نظرية المعرفة فإننا سنحاول بشيء من التحليل و المناقشة التطرق إلى كبريات النظريات الفلسفية التي تعرضت إلى ذلك .

**-1 - إمكانية المعرفة :**

يقصد بإمكان المعرفة حدودها، وما هو المدى الذي يستطيع الإنسان أن يبلغه بعلمه لو مكنته ظروف التحصيل من ذلك .

**أ - المذهب الشكي (اللاأدريينScepticisme) :**

للنزعة الشكية في التفكير الفلسفي جذور عميقة بحيث تمتد إلى غاية مرحلة ما قبل سقراط، فلقد شك **بارمنيدسParménide** ) 242 – 117 ق.م ( في المعرفة الحسية ، كما شك

**هيرقلطسHéraclite** ) 239 – 107 ق.م ( في المعرفة العقلية ، و اعتبر أن كل ش يء متغير يقول **: " لا يستطيع الانسان أن يعبر النهر مرتين"**.

كما شك أيضا السفسطائيون ) حوالى القرن 2 ق .م ( في الحقائق و اعتبروا أنها فردية متغيرة ، متعددة نسبية ، تختلف باختلاف الفراد ف : **" الإنسان مقياس الأشياء كلها "** فيما يقول **بروتاغوراسProtagoras** )167 – 117 ق.م( .

و يعود ظهور الشك في صيغته الفلسفية تاريخيا إلى المدرسة الشكية أو المدرسة البيرونية ) نسبة إلى مؤسسها بيرون( **Pyrrhon** )397 - 107 ق.م( التي اعتقدت أن العقل الانساني عاجز عن فهم الحقيقة – أي حقيقة الشياء – لن الشياء تظهر مختلفة لفراد مختلفين ، و عليه فكيف لنا أن نعرف اليقين ؟ و مادام المر كذلك أي ليس من الممكن التلكد من الشياء وجب علينا **تعليق الحكم )Suspension de** ( **jugement** أي التوقف عن اصدار الحكام حول الموضوعات و القضايا .

و يعترف **أبو حامد الغزالي** يعترف بدور الشك ) المعتدل – المنهجي( في عملية المعرفة إذ يق ول في آخر كتابه **ميزان العمل** : **"** من لم يشك لم ينظر و من لم ينظر لم يبصر و من لم يبصر يبقي في العمى و الضلال **"** ، و قد شك **الغزالي** شكا منهجيا لم يخش ى فيها النتيجة المترتبة ، فهو لم يشك فقط في المحسوسات بل حتى في المعقولات وهو ما تحدث عليه في كتابه **المنقذ من الضلال** .

كما اعتمد **رينيه ديكارت R .Descartes**على الشك المنهجي الذي يستهدف بلوغ اليقين وهو شك قائم على مبرر رفض ما لم يثبت بصفة يقينية ، بديهية و واضحة يقول في كتابه**' مقال الطريقة ' (Discours de la Méthode)** : **"** فكّرت أن من الو اجب عليّ أن أطرح جانبا كل ما قد أتخيله موضع شبهة و ارتياب ، و أن أشطبه بوصفه فاسدا بإطلاق و ذلك لأرى ما سيبقى لي بعد ذلك من أمر ثابت و صحيح ، و يكون قابلا للثقة الكاملة **" ،** وقد شك **ديكارت** في كل الموضوعات : في المعارف التي تلقاها عن أساتذته ، في الحواس ، في جميع الأفكار.

و لا ننس ى في هذا السياق الشك الذي أقامه **كانطI. Kant** على المعرفة ، حيث ميز بين نوعين من العوالم، أولا **عالم الظواهر**(**Phénomènes**)، و فيه تكون المعرفة ممكنة جدا و هو عالم الطبيعة أو الخبرة الممكنة و ثانيا **عالم الظواهر في ذاتها(Noumènes)**و تكون فيه المعرفة غير ممكنة و كل ما يمكننا ازاء هذا الخير هو التسليم بظواهره و معارفه مثلما نسلم بوجود حقائق ميتافيزيقية : وجود الله ، النفس ، خلودها ... الخ

أما عن فكرة الشك في الفلسفة المعاصرة فإننا نجد **جورج سنتياناG.Santayana** ) 4893 – 4623 (في كتابه **'الشك وإيمان الحيوان'** حاول أن يعيد النظر في نظريات المعرفة التي عرقلت نمو و تطور الفلسفة و قد تبين له أن أسوأ ما يقع فيه الفكر هو قبوله الراء التقليدية قبولا أعمى ، لهذا فهو يبدأ بالشك ، و قد كان مستعدا للشك في كل ش يء يقول : **"** يصل إلينا العالم الخارجي من خلال الحواس ، فيمتزج بصفاتها و خصائصها ، و تأتي لنا الحوادث الماضية عن ط ريق الذاكرة التي تؤثر فيها الرغبة و تلونها كما تشاء إذن فالعالم كما يظهر لنا و الماضي كما نذكره قابلانللشك **"** ، و يثق **سنتيانا** في تجربة اللحظة فحسب فهذه الصورة و هذا اللون و هذا الطعم و هذه الرائحة ، و هذه الصفة كل تلك الأمور و غي رها هي العالم الحقيقي و ادراكها يكشف عن الجوهر .

**ب- المذهب الوثوقي أو النزعة الدوغمائيةDogmatisme :**

تطلق صفة النزعة الوثوقية - الدوغمائية على كل مذهب لم يمهد لطروحاته و أفكاره **بالتحليل** و **المناقشة** و **النقد** الكافي ،و ترى هذه النزعة أن المعرفة الإنسانية لا حد لها تقف عنده ،فإن قصر الإنسان في معرفة الكون بكل ما فيه ، فما ذلك لقصور في طبيعة عقله أو طبائع الأشياء ، إنما هو قصور مرهون بزوال العوائق فيزول .

و الدوغمائيون أو الوثوقيون هم بصفة عامة أصحاب المذهب العقلي و التجريبي على السواء ، فكلا المذهبان - قبل كانط - كان يعتقد في مصدر المعرفة التي يأخذ به ، و لا يرى مانعا في أن يستقي من ذلك المصدر علما بكل شيء . إذ يذهب هؤلاء إلىالإيمانإيمانا حقيقيا و مطلقا بصدق آرائهم ، و بلن ما عادهم وهم باطل ، فمذهب و رأي الفيلسوف هما من يمثل الحقيقة . وأن الحقائق في نظرهم لا تتغير بتغير الزمان و المكان.

و يعد **كانط** أول من انتبه إلى هذه النزعة و انتقدها بشدة من خلال مذهبه **النقدي** ، و نشير هنا إلى أن هناك أنواعا من النزعة الدوغمائية ، فهناك **الدوغمائية الساذجة** و التي يمثلها رجل الشارع و هناك **الدوغمائية المادية** التي تدافع عن اليمان بالواقع المادي )العلم(، و هناك **الدوغمائيةالدينية**و أخيرا هناك**الدوغمائية الفلسفية .**

**2 - مصدر المعرفة :**

**أ – الاتجاه العقلاني Rationalisme :**

تطلق **العقلانية** Le Rationalisme)) على التيار الفلسفي الذي يقر أن العقل هو **مصدر المعرفةالحقيقية** ، و ترفض العق لانية كل ما هو مخالف للعقل أو ما يعجز العقل عن تفسيره ، و يتمسك رواد هذا المذهب بالقول أن العقل وهو قوة أو ملكة ) Faculté( فطرية تضم العديد من المبادئ البعيدة عن التجربة و الخرافة : مبدأ الذاتية ، التناقض ، الثالث المرفوع السببية ...الخ ، هذه المبادئ و غيرها من المبادئ فطرية ، عامة - كلية ، مطلقة ، ضرورية ، و هي ليست محل اكتساب تجريبي ، و إنما هي قائمة في العقل منذ نشلته ، و عليه تصبح الوليات أو البديهيات العقلية حقائق واضحة بذاتها ، و من ثمة كانت صادقة في كل زمان و مكان .

و يعتبر أب الفلسفة الحديثة **رينيه ديكارت** مؤسس المذهب العقلاني في الفلسفة الأوروبية الحديثة ، لأنه رد للعقل سلطته الحقيقية بعد تهديمها من طرف المدرسة الشكية ، كما رفض **ديكارت** السلطة الدينية التي فرضتها الكنيسة ، و رفض **ديكارت** النسق الارسطي كمصدر من مصادر المعرفة ،و قام برد الحقيقة و كل الحقيقة الى العقل وحده ، جاعلا من البداهة و الوضوح معيارا للخطأ و الصواب . و في كتابه **' مقال الطريقة '**  حدد **ديكارت** المنهج العقلاني من خلال أربعة خطوات أساسية هي :

4- البداهة1- التحليل ، 3- التركيب ، 1- الإحصاء ، و يلخص أسلوب المعرفة العقلانية من خلال عمليتين عقليتين محضتين هما الحدس و الاستنباط .

و على العموم فالإنسان في اعتقاده **ديكارت** إذا استطاع أن يسلك قواعد المنهج ) يطبقها ( مع استخدام كل من الحدس و الاستنباط في ثنايا المنهج فانه حتما سيصل الى المعرفة اليقينية

**ب - الاتجاه التجريبي Empirisme :**

تعني **التجربة (L’ Expérience)**في المعنى العلميملاحظة الظواهر ضمن شروط علمية معينة بغية دراستها و استخراج قوانينها ، و التجريبي هو ما يستند على التجربة و لا يكتفي بالاعتبارات العقلية و التجريبية تيار معرفي – فلسفي يعتقد أن مصدر المعرفة هو التجربة )الحس( . و يعتبر **فرانسيس بيكون F. Bacon** أحد رواد الفلسفة التجريبية حيث دافع عن ضرورة السيطرة على الطبيعة و تسخيرها لصالح الإنسان ، و أن المعرفة هي نتاج التجربة ، و قد ساهم من خلال كتابيه **' تفسير الطبيعة'** و **' الأورغانون الجديد '** في بيان ضرورة التخلي عن الحكام المسبقة ، و بدلا من ذلك يجب فرض ) أي تطبيق (الملاحظة الدقيقة و التجربة .

و يذهب في هذا السياق **جون لوكJ. Locke**الى أن العقل يولد صفحة بيضاء و التجربة الحسية هي التي تخط سطو رها على هذه الصفحة البيضاء ، و قد رفض **لوك** القبول بالآراء الفطرية التي قال بوجودها العقليون ، و لو كان ذلك حقيقيا لتساوى جميع الناس في كل زمان و مكان في العلم ، أما **هيوم D. Hume**  فقد قسم ادراكاتنا إلى قسمين هما : الانطباعات أو الثار الحسية من ناحية و الأفكار من ناحية أخرى ، و الأفكار في رأي **هيوم** ليست إلا صور باهته متضائلة ضعيفة التأثير للانطباعات الحسية . ففكرتي عن الشيء الذي أمامي عبارة عن صورته الحسية التي انطبعت على حواس ي ، و لكن بعد أن ضعف تلثيرها و أ صبحت باهته ، و لو ظلت الصورة الحسية لهذا الشيء على قوتها وقت انطباعها على حواس ي لما تحولت الى فكرة . يقول في كتابه **'بحث في الطبيعة الإنسانية '** : **"** ترجع الى كل ادراكات العقل الإنسانيحسين متميزين ، الانطباعات و الأفكار **"**

**- الاتجاه الذرائعي - البراغماتي Pragmatisme :**

أو مذهب الفعل و السلوك ، و البراغماتية مذهب فلسفي معاصر ظهر و ازدهر في الولايات المتحدة الأمريكية و انجلترا حيث يرفض أن تكون المعرفة نظرية و تلملية خالصة ) نقد الفلسفة التقليدية ( ويقول بإرجاع الحقيقة إلى المنفعة . كما تذهب البراغماتية إلى أن معيار صدق الأفكار هو في عواقبها العملية و الحقيقة تعرف من نجاحها .

غير أنه تجب الشارة هنا إلى أن مبادئ البراغماتية عرفت تأويلات مختلفة من طرف روادها ، و درجات من التفاوت و الاختلاف ، في حين أن التيار الأكثر تشددا يعلن أن القضية الصحيحة هي التي تؤدي إلى نجاح فردي ، فإن التيار الأكثر اعتدالا يرى أن الحقيقي هو ما يمكن التحقق من صدقه بوسيلة الوقائع الموضوعية ، و سواء كان هذا أو ذاك . فإن كل براغماتي يرى أن **المنفعة** و **القيمة** و **النجاح** هي المعايير الوحيدة للحقيقة ، أما ما يختلف بشلنه البراغماتيون فيما بينهم فهو شرط هذه المنفعة.

و يعتقد **شارل بيرس C. Peirce** في مقال كتبه تحت عنوان :**' كيف نجعل أفكارنا واضحة ؟ '**يعتقدفيه أنه لكي نجد معنى للفكرة يجب أن نفحص النتائج العملية المترتبة عن الفكرة . فبدون هذا المعيار يظل الصراع حول معنى الفكرة غير منتهيا ، و لا يؤدي الى أي فائدة ، و بدلا من التساؤل عن مصدر الفكرة ، فإن البراغماتية تتجه صوب نتائجها و هو المر الذي ساهم في تحويل التفكير نحو العمل بدل التأمل ، من هنا عرّف الممثل الثاني للبراغماتية **ويليم جيمس W. James** الحقيقة بأنها : **" القيمة الفورية للفكر "** .

و يذهب **جيمس** إلى إقامة نظريته في المعرفة على التجربة ، هذه التجربة تختلف في معناها عن التجربة البريطانية و بمعناها التقليدي- العلمي ، و هو يقصد بها النجاح ، المنفعة ، الحقيقة . ففي ميدان التجربة النفسية أو العقلية يعتبر الحقيقي ما هو مفيد للفكر و ما يزودنا بالمعقولية و هو الشعور بالراحة و السلام . أما في ميدان التجربة الفيزيائية فالفائدة تكمن في التنبؤ و العمل و التأثير في العالم الخارجي . بينما يكون الاعتقاد حقيقيا في التجربة الدينية إذا ساهم في تحقيق الطمأنينة للنفس و مساعدة الإنسان على تحمل تجارب الحياة ، و مثال ذلك أن الاعتقاد إذا كان مؤديا الى تغيير سلوك المؤمن فهذا الإيمان حقيقي و هو ما يحمل معنى الإلوهية .

**3 - طبيعة المعرفة :**

**أ - الفلسفة المثالية Idéalisme :**  المثالية بالمعنى العام لها كما ذكرها **اندريه لالاندA. Lalande** في معجمه الفلسفي هي **:**

**"** الاتجاه الفلسفي الذي يرجع كل وجود الى الفكر بالمعنى الأعم لهذه الكلمة ، و المثالية بهذا المعنى تقابل الواقعية الوجودية " أو هي: " المذهب الذي يقر بأن الاشياء الواقعية ليست شيئا آخر غير أفكارنا نحن ... و أنه ليس هناك حقيقة إ لا ذواتنا المفكرة . أما وجود الأشياء فقائم في أن تكون مدركة عن طريق هذه الذوات و لا حقيقة لها وراء ذلك **"** . و بصفة عامة يتلخص الموقف المثالي في نقطتين :

**أ- سلبية :** أي تقرير حقيقة سلبية ، حيث أن الاعتقاد باستقلال الطبيعة و اكتفاءها بذاتها ليس إلا مجرد وهم، لن الطبيعة و أن كانت تبدو أنها لا تعتمد على ش يء آخر في سيرها و قوانينها إلا أنها تعتمد فعلا على ش يء آخر غير ها .

**ب- ايجابية :** أن هذا الش يء الخر الذي تعتمد عليه الطبيعة هو العقل أو الروح سواء في ذلك العقل الفردي أو العقل الكلي الالهي .

هذا و تنقسم المثالية إلى عدة اتجاهات . سنحاول فيما يلي توضيح موقفها من طبيعة المعرفة

**1- المثالية الذاتية ( اللامادية Immatérialisme) :**

و يمثلها **بركلي G.Berkeley** و يعتقد بلن الفلاسفة يد عون وجود جوهر مادي خارج عقولنا و تصوروا هذا الجوهر على أنه وعاء - قالب) Moule ( يضم جميع الصفات الطبيعية المختلفة من امتداد ، شكل ، لون طعم ، رائحة ...الخ و هي الصفات التي نصف بها الشياء المادية . هذه الخيرة كلها لا وجود لها إلا في عقولنا ، لنها ليست في نهاية المر إلا افكارنا نحن عن الشياء المادية ، أو الصور الذاتية عنها.

إن ذلك الجوهر المادي إذا ليس إلا مجرد وهم باطل وعليه وجب التخلص منه و الغاء وجوده ، و من أجل ذلك سمى **بركلي**مثاليته باللامادية ، أي الفلسفة التي تلغي وجود المادة و تلغي الصفات المادية باعتبارها قائمة خارج عقولنا مستقلة عنها و ينظر إليها على أنها الصور الذهنية التي يخلعها ) يتركها ( العقل على الشياء . و بهذا تكون مثالية **بركلي** تقوم على فعالية العقل ، و أن ما في الواقع يتطابق مع ما في الذهن ، و العكس ليس صحيح .

## IdéalismeCriticismeالمثالية النقدية -2

في موقفه المعرفي حاو ل**كانط** أن يتجاوز كل من موقف العقلانيين و التجريبيين من مسلمة طبيعة المعرفة ، حيث يسلم **كانط** بلن للأشياء وجودا واقعيا مستقلا عن الذات ، إلا أن معرفة هذه الأشياء تتوقف على قدرة العقل )الملكة العاقلة( فللعقل صور و مقولات (Catégories) من بينها مقولتي الزمان و المكان اللتين تعتبران صورتان أوليتن سابقتان عن كل تجربة و المعرفة في المذهب النقدي - الترنسندنتالي(Transcendantal) لا تقوم إلا إذا توفر شرطان رئيسيان هما :

**أولا :** الفهم (Compréhension) و **ثانيا** : الحساسية (Sensibilité) . حيث أن المعرفة تبدأ من التجربة الحسية وهي بعدية(A posteriori) و هي تلك الانطباعات الحسية التي تنقلها الحواس لنا عن الأشياء و هي مادة المعرفة ، و لكن هذه الخيرة لن يكون لها معنى إلا اذا تدخل العقل و رتبها و نظمها وفق تصوراته أي وفق مقولاته و هو ما يسميه **كانط**ب : صورة المعرفة وهي ق بلية (a priori) ، و يدعوها ب : ملكة الفهم ، فعالم الأشياء كما تنقله لنا الحواس يتميز بالشتات ، أي لا يمكن فهمه و العقل هو الذي يربط بين هذا الشتات ، و يحوله الى معرفة بفضل مقولاته : الكم ، الكيف، العلاقة ، الجهة ، و عليه فالعقل يمكن أن يتعرف على مادة المعرفة ) الأشياء ( بمساعدة مقولاته التي تعتبر أصولا متعالية )Transcendantal(و في النهاية يطلق **كانط** عبارته الشهيرة المعبرة عن طبيعة المعرفة المتعالية فيقول : **"** المفاهيم بدون حدوس حسية تظل جوفاء و الحدوس الحسية بدون مفاهيم تبقى عمياء **"** .

**ب - الفلسفة الواقعية Réalisme :**

تطلق **الواقعية**(Le Réalisme) على مجموع المذاهب التي تتفق على أن للأشياء الخارجية ) الموضوعات ( وجودا عينيا مستقلا عن العقل ) الذات( الذي يدركها ، بل و عن جميع أفكار ذلك العقل و أحواله ، و أن مختلف المعارف و الأفكار التي يتضمنها العقل مطابقة لحقائق

الأشياء المدركة، فليس العالم الخارجي كما هو مدرك في عقولنا إلا صورة لهذا العالم كما هو موجود في الواقع ، و من هنا نقول أن هناك تطابق بين الفكر و الموضوع ، و المعرفة في النهاية عند الواقعين هي انعكاس العالم الخارجي ( الموضوع) على العقل ( الذات ) .

و هكذا تكون الفلسفة الواقعية تقف موقف مناقض و معاد تماما من أطروحة الفلسفة المثالية حول مسالة طبيعة المعرفة .

**- الواقعية الساذجة (الموقف الطبيعي Sens Commun ) :**

تنطلق هذه الفلسفة في تحليل طبيعة المعرفة من موقف الإنسان العادي الذي يعتقد أن الحقيقة الأشياء في العالم الخارجي هي الحقيقة ذاتها ، و لا حقيقة من بعد ذلك ، و أن كل ما يعرفه عنها هو تجسيد حي لخصائصها ، و عليه فهناك تطابق تام و نهائي بين مختلف الأفكار و التصورات العقلية ، و بين مظهر الأشياء كما تبدو . فمظهر الشيء هو حقيقته و طريق المعرفة في هذه الفلسفة إنما هو الحواس و هو المر الذي أكد عليه **توماس ريد T. Reid**  و دافع عن الموقف الطبيعي الذي يعتقد اعتقادا دوغمائيا في وجود الأشياء ، و لا فيها أبدا و مثال ذلك : أن معرفتنا لهذا الكتاب من خلال مظهره هي معرفة حقيقية لأنها تتطابق مع خصائصه أو طبيعته الحسية .

و الخلاصة أن المعرفة عند هذه الفلسفة تتسم بالعمومية المطلقة لأن معرفة الطلاب مثلا لطبيعة الكتاب هي معرفة واحدة و مشتركة.

## : RéalismeCriticismeالواقعية النقدية -

تذهب هذه الفلسفة إلى اعتبار أن تصورات الإنسان عن العالم الخارجي ) الأشياء ، الموضوعات ( تتكون من أفكاره و انطباعاته الحسية ، و يذهب **برترند رسل B. Russell** إلى أن عملية المعرفة تبدأ من المعطيات الحسية المباشرة التي نكونها عن الشيء ) الموضوع( الذي نريد معرفته ، و أن المعطيات الحسية يمكن تشمل عدة أشخاص عند معرفتهم للشيء الواحد لأنها عامة ، و لكنها قد تخص ذاتا عارفة واحدة و ليس في هذا تناقض ، فالجسام أو الأشياء عامة هي تركيب منطقي لهذه المعطيات .

و على العموم نقول أن معرفة الشياء ) الموضوعات ( تقوم من خلال التلليف بين خبراتنا الحسية و قدرتنا الحسية أو المنطقية و منه يكون **رسل** بدوره قد وقف موقف وسطي – معتدل من مسللة طبيعة المعرفة على غرار اللماني**كانط** ، و نزع صفة السذاجة عن الفلسفة الواقعية ، ومنحها بعدا عقليا ، و لكنها رغم ذلك تبقى تدور في فلك التيار الواقعي العام .

**ثانيا - نظرية الوجود Ontologie**

الأنطولوجيا لفظ يستخدم في بعض الأحيان كمرادف للميتافيزيقا (Métaphysique) و لكنه يدل بصورة أدق على ذلك الفرع من الميتافيزيقا الذي يدرس الوجود في أكثر صوره تجريدا و عموميتا . و يعد **فولف C. Wolf** أول من أطلق اسم الانطولوجيا على مبحث الوجود و جعله فرعا من ما بعد الطبيعة التي تشتمل – بالإضافة اليه – البحث في الكون و في النفس و في اللاهوت ، و يشتمل مبحث الوجود على النظر في طبيعة الوجود على الاطلاق مجردا من كل تعيين أو تحديد و بذلك يترك للعلوم الجزئية البحث في الوجود من بعض نواحيه ، فالعلوم الطبيعية تبحث في الوجود من حيث هو جسم متغير ، و العلوم الرياضية تبحث في ال وجود من حيث هو كم أو مقدار ،أما البحث في الوجود من حيث هو موجود على الاطلاق فمن شلن مبحث الوجود - ما بعد الطبيعة عند القدماء - .

و تبحث الانطولوجيا في خصائص الوجود العامة بغية وضع نظرية في طبيعة العالم ، و النظر فيما إذا كانت الأحداث الكونية تقوم على أساس قانو ن ثابت أو تقع مصادفة و اتفاقا ، و فيما إذا كانت هذه الأحداث تظهر من تلقاء نفسها أم تصدر عن علل ضرورية تجري و فق قوانين المادة و الحركة ، و فيما إذا كانت تهدف إلى غاية أم تسري عفوية عن غير قصد ...الخ

**- مفهوم الوجود :**

الوجود مفهوم فلسفي يقصد به مطلق الواقع و يقابله العدم )néant( سواء كان هذا الواقع ماديا أو روحيا أو ذوات أو حالات كما يع رّف الوجود بلنه كل حكم ينطوي على تقرير وجود ، و يعبر عنه بفعل الكينونة )être( كقولنا **أرسطو فيلسوف** ، و لو حللت العبارة لكانت **أرسطو يكو ن فيلسوفا**.

و يفرق **مارتن هيدغر M. Heidegger**بين الموجود و الوجود ، حيث أن الموجود هو الكائن المتحقق و المتصف بالماهية و الوجود معا ، في حين أن الوجود يعني الوصف العام لكل موجود بغض النظر عن تعيينه .

و للوجود درجات من الشدة ، و لهذا كان الفلاسفة المدرسيو ن ) الاسكلائيو ن( و المسلمون يميزون بين وجود الله و وجود سائر الكائنات ، و الوجود في الله أقوى منه في الانسان ، ذلك أن وجود الله هو **واجب الوجود بذاته** ، بينما وجود النسان هو **ممكن الوجود بذاته** .

**طبيعة الوجود :**

لقد ظلت مشكلة الوجود منذ فجر الفلسفة إلى غاية مدخل العصر الحديث – لحظة ديكارت و كانط- ظلت تمثل أكبر و أهم بل و أول مشكلة فلسفية واجهها الفلاسفة، ذلك أن القدماء يجعلون الولوية للوجود أو ما يسميه الفلاسفة المسلمين بلصالة الوجود و حتى بعض المعاصرين يرون بض رورة أولوية نظرية الواقع ) الوجود( على البقية من النظريات ) نظرية المعرفة ( فالعقل الانساني يتجه بطبيعته إلى تحليل مسائل و مشاكل الواقع قبل أن يتجه إلى البحث في طبيعة الواقع ، و أن تقديم المعرفة على الوجود لا جدوى منه ، ولهذا شكلت ما تعرف بطبيعة الواقع - الوجود أي صفاته ومميزاته ) كما و كيفا( شكلت مسللة مثيرة للجدل بين العديد من النساق الفلسفية التي يمكن حصرها في :

**أ – المذاهب الواحدية Monisme :**

على الرغم من أن الواحدية الميتافيزيقية تتخذ صور شتى ، إلا أنها تتفق في رأي واحد يعد قاسما مشتركا بينها ،و هو أن أساس العالم واحد ، و أن كل وجود يرجع إلى ) مادة ( واحدة أو ) مبدأ ( واحد ، و عليه فإن الواحدية الأنطولوجية هي تلك النظرة إلى العالم التي تبحث عن الوحدة في الواقع ، و تر د كل الواقع ( الوجود ) إلى أصل واحد أو جوهر واحد قد يكون مادة أو روحا أو ذات أو قانونا...الخ . و تنقسم الواحدية إلى عدة اتجاهات هي :

**- الواحدية المادية :**

نظر الفلاسفة الطبيعيون قبل سقراط إلى طبيعة العالم ( الوجود) فأرجعوا جميع الأشياء على كثرتها و تعددها إلى أصل مادي و احد انبثقت عنه كامل الأشياء : طاليس أرجعه إلى الماء، انكسمانس أرجعه إلى الهواء ، هيرقليطس أرجعه إلى النار ، أما ديموقريطس و مذهبه الفلسفي فيعتبران أن جميع الموجودات تتألف من أصول مفردة يفصل بينها خلاء ) فراغ( و هي جزئيات لا متناهية العدد متحركة فينشل عن حركتها اجتماع بعضها البعض على صور شتى ، و من هنا تتكون الأشياء ، و إذا انفصلت هذه الجواهر عن بعضها البعض فسدت الأشياء ، و حتى النفس هي تتألف من هذه الجواهر المادية .

هذا و قد امتد هذا المذهب إلى غاية العصر الحديث ، إذ ذهب **توماس هوبزT. Hobbes**) إلى الدفاع عن الواحدية المادية مؤكدا على وجود هذا الكون المادي فقط الذي يتصف بأبعاده المحددة : طول ، عرض ، عمق ، ارتفاع ...الخ و أكد في ذات الوقت أن كل حادث يحدث إنما هو نوع من الحركة المادية ، بل و حتى الإحساسات و الأفكار ليست سوى حركات داخلية في جسم مادي حي .

إلا أن تأسيس المذهب الواحدي المادي فعليا في الأزمنة الحديثة يرجع إلى الفيزيائي الانجليزي **اسحاق نيوتنI. Newton**الذي يعتقدا أن مختلف الظواهر ذات طبيعة مادية ، فالعقل مثلا صورة من صور المادة التي تتميز بالقوة و التنوع و الحركة و التفكير، فليس ثمة شيء اسمه روح أو عقل مستقل عن المادة ، إذ ليست الظواهر الوجدانية إلا وظائف أعضاء الانسان فالتفكير وظيفة المخ ، كما أن الذوق وظيفة اللسان يقول **كابانيسG. Cabanis: " المخ يفرز التفكير كما تفرز الكبد الصفراء و تهضم المعدة الغذاء "** .

أما **فريدريك نيتشهF.Nietzche**فقد بدا له الاعتقاد بوجود عالم الميتافيزيقا بدا له بمثابة إدانة للحياة إذ أن الاعتقاد بمثل هذا المر يجعل من الحياة مج رد زيف أو وهم في عالم زائف و لهذا هاجم **نيتشه** فكرة ثنائية العالم و أكد في ذات الوقت أن العالم هو عالم أحادي و واحد و هو الذي نعيش فيه معتبرا أن الميتافيزيقا صنم (Idole) من أصنام الفلسفة يجب تحطيمه .

و لم يخرج ألماني آخر عن نفس الطرح و هو **هولباخD.Holbach** الذي هاجم في كتابه **' نسق الطبيعة '** كل نظرية تزعم أن وراء الظواهر المحسوسة عالم ا أو موجودات غير مرئية فكل ش يء في الوجود يمكن تفسيره بالمادة و الحركة و هما أزليتان و أبديتان . تخضعان لنظام الضرورة . فلا مصادفة ، و لا تدبير إلهي ، و لا غائية ، و لا نفس ، و لا حرية .

هذا و نشير إلى أن التفسير المادي للوجود قد تعاظم بسبب التفكير و التطور العلميين الجديدين ابتداء من العصر الحديث .

**- الواحدية الروحية :**

تفسر الواحدية الروحية ( المثالية) الوجود بالروح أو العقل وحدهما ، فطبيعة الأشياء الكامنة وراء الظواهر المحسوسة روحية في أصلها فالروح في المذاهب الروحية مصدر الظواهر المادية و البدنية . و إذا كنا غير قادرين على إدراك الأشياء بالحواس و إنما نعرفها بالتفكير المجرد ، نتج عن ذلك أن الطبيعة روحية لا محالة .

و عن من يتبنى هذا التفسير الأنطولوجي فإننا نجد الفلسفة المثالية الألمانية ( المطلقة ) من فلاسفتها **فيخته Fichte** ، **شلينجSchelling** ، **هيجل Hegel** ، و لتدعيم وجهة نظرها الأنطولوجية و تبريرها عمدت الى تقديم حجتين هما :

**أولا :** أن كل وجود كما هو معروف إنما يتوقف على التجربة ، و عليه فإن كل وجود إنما يتوقف على القائم بتلك التجربة الذي هو الذهن أو الوعي أو الروح ، و عليه فإن الاذهان أو الأرواح و الأفكار هي كل ما يوجد و بالتالي فان الذهن أو الروح هما الحقيقة النهائية .

**ثانيا :** اننا ندرك أو نحس بأنفسنا ( الذات)على أننا موجودات لا مادية أو روحية ، لا يمكن التوحيد بين وجودها و بين و جود الجسام المادية، و هو عبارة عن شعور حدس ي لا نقاش فيه عند الكثير من الفلاسفة المثاليين ، و عليه و مادامت طبيعة الانسان روحية – مثالية فإن ذلك يكشف على أن خصائص الطبيعة الكونية روحية ، ولما كنا نعرف أننا موجودات روحية فإن لنا الحق في القول أن العالم ذو طابع روحي ف **" تركيب الواقع مماثل لتركيب اذهاننا "**

لقد اعتقد صاحب **' فينومينولوجيا الروح '** أي **هيجل** أن العقل أو الروح أو المطلق كما يسميه هو ، هو المبدأ الذي يحكم العالم ، و يصنع التاريخ ، فالكون و هذا العالم ما هما في أصلهما إلا تلكما الروح أو المطلق اللذين تطورا عبر الزمنة و تجسدا في النهاية في صورة انسان ، و عليه فان ( كل مظاهر الحضارة من علم ، ثقافة ، دين ، فلسفة ، ...الخ ما هي إلا تجليات للمطلق عن طريق الجدل الذي حكم على جميع الأشياء بالتغير ، فالوعي هو الذي يحدد الوجود ) .

**- الواحدية المحايدة :**

بالنسبة لهذا التصور الأنطولوجي فهو يرفض الطرحين السابقين – أي الواحدي المادي و الواحدي الروحي – محاولا في ذات الوقت أن يجد حلا شاملا لهذه المشكلة الميتافيزيقية . هذا الحل أقرب ما يكون إلى مذهب **سبينوزاB. Spinoza**. فالواقع أو الوجود النهائي لا هو مادي و لا هو روحي و انما هو جوهر محايد ) الله ( بحيث تكون الروح و المادة مجرد صفات له ، فعلى سبيل المثال النظر الى ذهن و جسم الإنسان على أنهما وجهين لنفس الجوهر الواحد الكامن من وراءهما و هكذا فان تسميتنا للحادث " ماديا" أو "روحيا" تتوقف على الطريقة التي ننظر بها اليه . فإذا نظرنا اليه من خلال وجه معين ) علاقات معينة ( لبدا لنا حادثا ذهنيا، و اذا نظرنا اليه من خلال الوجه المادي لبدا لنا بالطبع حادثا جسميا، و لكن الواقع أنه هو نفس الحادث ، لا يمثل إلا تعديلا لنفس الجوهر الواحد ، و فضلا عن كل ما قيل فإن **سبينوزا**يعتقد أن كل ما يوجد هو الله ، و لما كان الجوهر او الله واحدا أزليا لا متناهيا فإن الواقع بدوره واحد أزلي لا متناه .

**ب- المذاهب الثنائية Dualisme :**

ويفسر هذا المذهب الوجود بعنصرين مختلفين مثل العقل و المادة أو الجسم و النفس أو الذات و الموضوع أو غير ذلك و قد كان **أنكساغوراسAnaxagore** ( 500 – 428 ق.م )من الاوائل الذين قالوا بهذا المذهب ، إذ ميز بوضوح بين العقل و المادة فالعقل هو مبدأ النظام و الحركة ، بينما المادة فلا نظام فيها بالنظر لما لا نهاية فيها من الذرات ، و في المادة تكون الفوضى هي سيدة الموقف ، أما العقل فمنظم حركة كل شيء ، ومن أنصار هذا المذهب نجد **أفلاطو ن** الذي ميز بين عالمين : عالم محسوس و آخر للمثل.

و يعتبر **ديكارت** المؤسس الحقيقي لهذا المذهب في العصر الحديث ، و هو يرى أن للوجود جوهرين هما النفس و خاصيتها التفكير ، و الجسم و ماهيته الامتداد و كل منهما مستقل بنفسه قائم بذاته .

**ج - المذاهب المتعددة Pluralisme :**

لقد نظر فلاسفة آخرون إلى الكون على أنه مليء بالكثرة و التعدد يقول **ويليم جيمس:** " إن العالم المتكثر أشبه ما يكون بالجمهورية الفيدرالية ، و هو بذلك ليس امبراطورية أو ملكية مطلقة **"** ، فقديما تصور أحد الفلاسفة اليونان -قبل سقراط - و هو **امبدوقليس** أن أصل الأشياء لا يرجع إلى جوهر واحد إنما يرجع الى أربعة عناصر مجتمعة هي : الماء ، الهواء ، النار التراب يضاف اليهما مبدأين غير ماديين هما الحب و الكره .

و لكن أوضح صورة لمذهب الكثرة و العدد ظهرت عند أصحاب المذهب الذري أو الجزء الذي لا يتجزأ )المدرسة الذرية : **لوقيبوس** و **ديموقريطس** و  **الأبيقوريين** ( . و يتلخص هذا المذهب في أن أساس العالم المحسوس قد ظهر نتيجة لاجتماع الذرات ، هذه الخيرة لا تختلف كيفا و لكن تختلف كما أي من حيث الشكل و الحجم و الوضع ...الخ و هذا الاختلاف هو ما يفسر الاختلاف العام بين الأشياء .

كما أننا نلتقي مع التفسير الأنطولوجي المتعدد و الكثير في العصر الحديث مع **ليبنتزW.Leibnitz** مؤسس المذهب الروحي الحديث ، إذ فسر طبيعة الوجود تفسيرا ديناميكيا فقرر أن الموجودات تتألف من ذرات روحية (**منادات**la monade) متناهية العدد و هي أزلية ، تنزع دوما للعمل و الحركة ، تتكون منها الأشياء ، ي وجدها خالق فتصدر عنه كما يصدر النور عن الشمس ، و هي ترتقي من الجماد الى الحيوان فالإنسان فالله ) مناد المنادات ( ، ومن ثمة لا يكون للعالم الخارجي أو المادة في كل صورهما وجود بذاته .

**ثالثا - نظرية القيم Axiologie:**

الأكسيولوجيا أو فلسفة القيم مبحث من مباحث الفلسفة يناقش المسائل المتعلقة بالمثل العليا أو القيم المطلقة ، و هي **الحق** و **الخير** و **الجمال** في ذاتها لا باعتبارها وسائل تفض ي إلى تحقيق غايات . و من بين القضايا التي تتناولها الأكسيولوجيا إشكالية : هل تلك القيم هي مجرد معاني في العقل أم أن لها وجود مستقل عن العقل الذي يدركها ؟

و نشير هنا إلى أن هذا المبحث يتناول مختلف القضايا المتعلقة ب :**علم المنطق** ، علم الخلاق ، علم الجمال . أي من حيث هي علوم معيارية (Normatives) تبحث فيما ينبغي أن يكو ن ، و ليست علوم وضعية )Positives( حيث تقتصر دراستها على ما هو كائن . هذا و ترجع النواة الأولى لهذا المبحث لنظرية المثل عند **أفلاطو ن** ومؤلفات **أرسطو** ) الآلة في المنطق و الخلاق و السياسة و ما بعد الطبيعة ( و أبحاث الرواقية و الأبيقورية في الخير الأقصى .

أما عند فلاسفة العصور الوسطى فقد ذهب **القديستوما الإكويني**إلى التوحيد بين القيمة العليا و العلة الأولى أي الله باعتباره كائنا حيا أزليا خيرا ، و قد عولجت القيم في التفكير الفلسفي الحديث في علوم فلسفية مستقلة هي العلوم المعيارية كما سبقت الاشارة . و لا ننس ى هنا أن **كانط** كان قد تعرض في ثلاثيته النقدية المشهورة لمسلمة القيم فخصص كتابه **'نقد العقل الخالص'** لقيمة الحق ، و**'نقد العقل العملي'** لقيمة الخير و أخيرا **'نقد مَلكَة الحكم'** لقيمة الجمال .

وفي القرن العشرين كان أول من استخدم لفظ الكسيولوجيا هو بول **لابي** في كتابه**' منطق الارادة '** و **هارتمان**، ثم توالت بعد ذلك مختلف البحاث في سياق مبحث القيم

**- معنى القيمة Valeur:**

يذكر **رويه** أن أول من استخدم لفظة القيمة - و هو باللغة اللمانية ) **Wert (** بالمعنى الفلسفي وعمل على ذيوعه هو **لوتزLotez** و اللاهوتي **ريتشل** . و كلمة قيمة )Valeur( لاتينية الأصل فهي مأخوذة من الفعل Valeo الذي معناه : "أنا قو ي" Je suis fort ، و "أنني بصحة جيدة " Je suisenboone santé ، و هو معنى يتضمن فكرة الفعالية و التأثير و الملائمة ، و مع مرور الزمن أصبحت الكلمة تدل على معاني أخرى و انتشر استعمالها في ميادين الفكر المختلفة ( اللغة ، الرياضيات ، الاقتصاد ، الفلسفة ...) .

هذا و نشير إلى أنه لا زالت كلمة قيمة باللغة الفرنسية و الكلمات التي تقابلها باللغة الانجليزية )Worth( و الألمانية لا زالت تحتفظ بشيء من رواسب معناها اللاتيني. و بالنسبة لكلمة قيمة في الفلسفة فقد جرى استعمالها في مجالات متعددة للدلالة على كلمات كانت شائعة في الفلسفة القديمة مثل الخير ، و الخير الأسمى ، و الكمال ، و يعتبر **نيتشه** أهم من عمل على انتشارها انتشارا واسعا في الأوساط الفكرية . فنجاح فلسفته و رواجها هو الذي حمل الفلاسفة على الاهتمام المتزايد بها ، و هي كلمة من الصعب تحديد معنى دقيق لها لكنها كما يقول **اندريه لالاند** تدل غالبا على تصور متحرك ، إذ تمثل انتقالا من الواقع إلى ما يجب أن يكون ، من المرغوب إلى ما يمكن أن يرغب فيه.

و تعني القيمة من **الناحية الذاتية** الصفة التي تجعل من الشيء مطلوبا أو مرغوبا فيه ، و قد تطلق بهذا المعنى على)قيمة الاستعمال(، و هي من **الناحية الموضوعية** تدل على ما يتميز به الشيء من صفات تجعله مستحقا للتقدير، و عليه فإذا كان الشيء في حد ذاته يستحق تقديرا كبيرا مثل الحق ، الخير، الجمال كانت قيمته مطلقة .

**- أنماط القيم :**

تعد القيم المطلقة الثلاثة : الحق ، الخير ، الجمال ، من أهم الموضوعات - القيم التي اهتمت بها الفلسفة منذ فجر تاريخها إلى يومنا هذا ، و عليه فهي بمثابة مباحث فلسفية أو غايات لعلوم مشهورة هي علوم الفلسفة المعيارية ( Normatives ) .

## : Droit -أ- الحق

يعد الحق قيمة انسانية مرادفة لما صحيح و صادق ، يسعى نحوها كل تفكير إنساني ، و الفلسفة حددت **علم المنطق (Logique)** على أساس أنه يسمح بالتمييز بين صحيح الفكر و فاسده ، و ذلك طبقا لقواعد معينة . هذا و قد اختلفت المذاهب الفلسفية في تحديد معيار الحق ، حيث هناك من يعتبر الحقيقي هو تطابق الفكر مع ذاته ) العقلانية( ، في حين يعتبر آخرون أن الحقيقي هو تطابق الفكر مع الواقع ( التجريبية)، و يجعل تيار آخر الفائدة أو المنفعة العلمية مقياسا للحقيقة ( البراغماتية) ...الخ

**ب- الخير - Bien :**

هو ما ينتفع به الغير قولا و فعلا و نقيضه الشر ، و الخير هو الحسن لذاته و لما يحققه من لذة أو نفع أو سعادة . و الخير من الناحية الاصطلاحية له عدة تعريفات فهو يعني الكمال و السعادة ، و هو لدى البعض أسمى القيم و أرفعها و أرقاها ، ففي حين يعتبر **أفلاطو ن** أن الجمال هو بهاء الخير ، فإن **كانط** يعتقد أن الجمال و الجلال رمزان كاملان لمثال الخير .

أما في المسيحية فنظرتها للخير فقائمة في أساس طاعة القانون الإلهي ، في حين ذهب السلام إلى اعتبار الطيب و النافع للإنسان هو الخير نفسه ، و **علم الأخلاق (Ethique)** هو العلم الفلسفي الذي يختص بالبحث في مسائل و قضايا السلوك اذ يسمح بالتمييز بين الخير و الشر ، و به يتم اكتشاف أسباب الشقاء و رسم طريق السعادة .

**ج - الجمال- Beau :**

حدده **كانط** بقوله : **" ما يبهج كل الناس و بلا تجريد "** و هو يدل هنا على كل ما يثير لدى الناس شعورا فريدا يسمى الانفعال الجمالي ، و الجمال هو ما يتطابق مع بعض معايير التوازن و المرونة و التناغم و الكمال في نوعه ، و مع صفات و كيفيات أخرى ، و **علم الجمال ( الأستطيقاEsthétique )** هو من يسمح لنا بالتمييز بين الجميل و القبيح ، و التعرف على شروط الجمال و وظيفته في حياتنا .

**- طبيعة القيم :**

طبيعة القيم إشكالية من إشكاليات فلسفة القيم تتضمن العديد من المسائل من أبرزها :

**المسألة الأولى** : تتعلق بالتمييز بين القيم من حيث هي صنفان : صنف ينشده الناس كوسيلة لتحقيق غاية و لهذا تختلف باختلاف حاجات الناس و مطالبهم ) قيمة العربة ، الكتاب ... مرهونة بما تؤديه من خدمات ( و تسمى هذه القيم بالقيم الخارجية ، أم الصنف الثاني فيلتمس لذاته و يطلب كغاية و هي قيم باطنية ذاتية مستقلة بنفسها ) جمال الزهرة( هذه الخيرة قيمتها في ذاتها ، و تسمى هنا هذه القيم بالمثل العليا .

و هي وحدها في رأي البعض موضع بحث الفيلسوف ، و لكنها ليست كذلك عند سائر الباحثين ،إلا أنه تجدر الشارة هنا أن هناك موقف ث فمنهم من يضعون الوسيلة على قدم المساواة مع الغاية عند التقويم فكل من الوسيلة و الغاية يتبادل مركزه و مكانه مع الخير ، و ليس ثمة غاية مطلقة لا تكون وسيلة لغيرها كما أن من الممكن ان تعد وسيلة غاية في مرحلة من المراحل ، فالحياة تصبح عبئا ثقيلا على الاحتمال إذا لم تكن الوسائل غايات في آن واحد و إذا لم تكن لها قيمتها الخاصة ، أو إذا ظلت الوسيلة دائما كالدواء المر المذاق لا قيمة له في ذاته إلا أن يلتمس وسيلة للشفاء .

**المسألة الثانية :**ترتبط بطبيعة القيمة من حيث هي ذاتية أو موضوعية، أي هل هي من وضع العقل و اختراعه ، أم هي صفات عينية للأشياء لها وجودها المستقل عن العقل الذي يدركها **؟** فهي ذاتية نسبية خالصة مرجعها إلى الفرد ،

و لهذا تختلف باختلاف الزمان و المكان و الظروف و الأحوال فالحق و الخير و الجمال إنما يكو ن بالقياس إلى كل تفكير و شعور و إحساس ، و كمثال على ذلك فإن القيم الأخلاقية ( خير – شر )تبقى ذاتية أي أن الوجود الإنساني هو الذي ي بدعها و يوجدها و ي حددها. و معنى ذلك أنها لا تتمتع بلي استقلال عن السلوك الذي يتصف بها **"فلإنسان هو مقياس الأشياء كلها "** فيما قاله **بروتاغوراس** ، هذا الطرح الذي دافع عنه كل من السفسطائيو ن و الأبيقوريون في الفلسفة اليونانية و جون بول سارتر و البراغماتيو ن في الفلسفة المعاصرة . غير أنه هناك من يرى العكس من ذلك، إذ أن القيم تكون موضوعية متعالية مستقلة عن سلوك الفرد و هي ليست من صنعه ، لن وجودها سابق عليه و بهذا تكون كلية و ثابتة و هو ما يجعلها واحدة بالنسبة لجميع البشر، و من ثمة كانت موضوعية. هذا الطرح الذي تبنته كل من المدرسة العقلية و الاجتماعية و المثالية على حد سواء يقول **أفلاطو ن** : **" إن الله هو مقياس الأشياء كلها و ليس الإنسان "** .

**المسألة الثالثة :** و هي تتفرع عن الموقف من ذاتية القيم و موضوعيتها ، و يتعلق المر هنا بنسبية القيم و إطلاقها ، و هي ليت امتدادا مباشرا لمسألة ذاتية القيم و موضوعيتها ، فليس كل من أقر بموضوعية القيم يسلم أيضا بإطلاقها، و ليس كل من يقول بذاتيتها مقر بنسبيتها .

**مكانة القيمة في مذاهب الفلسفة :**

لا تحتل نظرية القيمة مكانة محددة ضمن مذاهب الفلاسفة و اتجاهاتهم الفكرية ، فهي تنزوي تارة في ركن ضئيل من المذهب عندما لا يعرض لها الفيلسوف إلا بوصفها قيمة خلقية أو جمالية ، أو منطقية أو دينية، أو غير ذلك من صنوف القيم ، و قد تقفز تارة أخرى إلى قمة مذهبه ، فتغدو طابعه الغالب و مبدأه الموجه ، و يكون لها دلالتها المنهجية العامة التي تسوق نظرة الفيلسوف إلى المشكلات الفلسفية جميعا ، و تحكم مواقفه منها ، و حلوله التي يقدمها .

و بين تضاؤل ا لاهتمام بمسلمة القيم أو استيلائها على كامل اهتمام الفيلسوف يخلص إلى **فيليب وينر** مفادها أن كل المذاهب الفكرية - الفلسفية عبارة عن أطروحات مشحونة بالقيمة سواء صرحت بذلك أو أنكرته . ففلسفة **نيتشه** كلها يمكن أن تعد نظرية في القيمة ، فهو يتخذ من القيمة مبدأ مذهبه و غايته ، و الحياة عنده بمختلف جوانبها عملية متصلة من التقويم . أما **ريكرت** فيعتبر أن القيم عنده لا توجد بوصفها شيئا ماديا بل توجد بتصديقنا عليها و إقرارنا بصحتها ، و لهذا فنحن ملزمون بما ينبغي أن يكون . و **جون بول سارتر** رغم ضآلة ما يخصصه في مؤلفاته لمناقشة مشكلة القيمة أو الخلاق بصفة عامة ، إلا أن وجوديته كلها أخلاقية الطابع بالمعنى الواسع ، فهو يقول أن غاية الوجودية هي إقامة ملكوت إنساني يكون نسقا من القيم المتميز عن العالم المادي، و الحياة عنده هي المعنى الذي يختاره الإنسان لها . كما يمكن اعتبار الفلسفة البراغماتية أنها فلسفة في القيمة من خلال مبدئها العام و الذي يرى أن الحقيقة رهينة فكرة القيمة .

**خاتمة**

الفلسفة ضرورية في حياة الإنسان في المستوى الفردي وفي المستوى الاجتماعي وفي المستوى الأممي الإنساني وفي المستوى الفكري والعلمي والثقافي والحضاري

- الفلسفة ظاهرة فطرية طبيعية في الإنسان

  ليست الفلسفة ـ في واقع الأمر ـ بالشيء الدخيل على الإنسان، لأن حياته عبارة عن حلقات متصلة من الفكر والتأمل. ولن نستطيع ـ حتى إذا أردنا ـ أن نجعل عقولنا تكف عن التفلسف ، لأننا إن فعلنا ذلك نكون كمن يكلف الأشياء ضد طبيعتها، أو كمن يحاول أن يمنع الحياة من الحركة والنشاط .

- الفلسفة ضرورية لفهم طبيعة الإنسان

 من هنا تأتي أهمية الفلسفة لتقوم بمهمة هذا الربط بين نتائج العلوم المختلفة لاكتشاف الحقائق الكلية في الكون والتي تقصر العلوم الجزئية عن بلوغها ومنها الطبيعة الإنسانية. إن سقراط عندما قال مقولته الشهيرة "أيّها الإنسان اعرف نفسك بنفسك." قد قصد هذا المعنى ، قصد الكشف عن حقيقة أن الإنسان لن يتمكن من معرفة نفسه إلا من خلال الفلسفة ، ومن ثم أثر سقراط أن يدفع حياته ثمناً لهذه المعرفة، لأنه وجدها تساوي الحياة نفسها.

**- الفلسفة ضرورية لقيام العلوم نفسها**

 إن المناهج العلمية اليوم في حاجة ماسة إلي فروض فلسفية لكي تقوم لها قائمة أصلاً مثل الإيمان بمبدأ العلة، وبساطة الطبيعة ومعقوليتها. وكل علم يعتمد على طائفة من المعاني الأولية التي تعد أساساً له، فالعلوم الرياضية مثلا تعتمد على معاني الوحدة واللانهائي والنهائي وغيرها من فروض فلسفية. والعلوم الطبيعية تعتمد على معاني المادة والقانون والعلة والقوة والحركة إلي أخره ، والعلوم الإنسانية في حاجة إلي معاني جوهر الإنسان وأصله ومصيره ، وما تقرر له من حقوق وما يفرض عليه من واجبات، والفلسفة هي التي تكشف عن هذه المعاني حقيقتها وقيمتها. والجانب الثاني لأهمية الفلسفة للعلم أنها هي التي تكشف للعلم عن طبيعة العقل الذي هو أداة من أدواته التي يستعين بها على ضبط المشاهدات والتجارب .

**- الفلسفة ضرورية للنهضة والتنوير**

 لما كانت الفلسفة تعمقاً في المعرفة والبحث للوصول إلي حائق الحياة العليا، وعللها الأولي ، أي تنظر إلي الوجود نظرة إجمالية عامة ، فإنها الأقدر على الأخذ بيد المجتمع نحو الرقي والتمدن ، لذلك كانت الفلسفة في كافة العصور القاطرة التي تسحب المجتمع بأسره من خلفها نحو التقدم والحضارة . ومن هنا جاءت أهميتها العظيمة التي نشدد عليها. إن إنسان العصر الحديث ربما كان أحوج اليوم إلي الفلسفة منه إلي أي شيء أخر:فقد أصبحت حياته الروحية أثراً بعد عين، بسبب انهماكه في مشاغل العيش وهموم المادة. لأن التفلسف جهد إرادي يرمي غلي تعمق الذات، عن طريق الارتداد إلي تلك الأغوار السحيقة التي يشعر المرء بإنيته فيها. وحين ينعكس الفكر على ذاته فإنه قد يشعر بما في وجوده من تصدع ونقص وتناه، عندئذ ينكشف أمامه "المتعالي" بوصفه تلك الحقيقة التي هي الأصل الذي صدرت حريته ووجوده على السواء. وبهذا المعنى قد يصح أن نقول إن التفلسف يعلمنا كيف نحيا، ولكنه يعلمنا أيضا كيف نموت: لأنه إذ يكشف لنا عما في الوجود الزمني من جزع ومخاطرة وعدم اطمئنان، فإنه يظهرنا على أن الحياة إن هي إلا محاولة ، وأن الموجود البشري إن هو إلا سالك أو عابر سبيل.

الفلسفة بصفة عامة تساهم في بناء الإنسان عقلياً ونفسياً واجتماعياً وخلقياً ودينياً، وتساهم في بناء المجتمع وفي تطويره وازدهاره، وتساهم في أنسنة الإنسان ليحيا الإنسانية في أبعــد مداها في ذاتـه وفي محيطـه باستمرار.